

التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها وسبل مواجهتها

تمهيد: أهمية التعليم الشرعي وأثر كليات الشريعة في المجتمع

يُعنى التعليم الشرعي وكليات الشريعة بإعداد الفرد الصالح دون الاكتفاء بالاهتمام بالفرد فحسب بل يتعداه إلى الاهتمام بالمجتمع حيث أنّ الفرد هو اللبنة الأساسية في إصلاح المجتمعات، فلكليات العلوم الشرعية هي بمثابة المنارة التي ترسل نورها لتبديد ظلمات الجاهلية التي تحاول طمس كل ما من شأنه أن يحرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد والسعي من أجل رقيه وأخذ مكانته في مركزية الكون ليكون العنصر الفعال الذي يعمر هذه الأرض وفق مشيئة الله.

ولا يخفى على أحد أنّ الأمة اليوم تمر بأزمات جليلة وتواجه تحدياً غير نزيه ليتحول إلى هجمة شرسة تحاول جاهدة أن تتال من ثقافة هذه الأمة وحضارتها، ماضيها وحاضرها، وأدركت شياطين الإنس أنّ إصابة الهدف وتحقيق الغاية لا يتم إلا من خلال الوصول إلى مناهج التعليم والعبث بها وفق خطة مدروسة ولا سيما التعليم الشرعي.

فالتحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها من أجل وأعظم التحديات إذ تحاول هذه التحديات أن تفرغ كليات الشريعة من مهمتها وغايتها وتعمل جاهدة على تحويل طلاب العلوم الشرعية إلى آلات تحفظ المعلومات دون أن تفهم فحواها ، حالهم يناقض أقوالهم فيحفظون النصوص دون أن يعملوا بما جاء بها، فامتدت يد غريبة عن ثقافتنا وحضارتنا لتضع لنا المقررات التي ندرسها وندرّسها، تحذف مواضيع وتقرر أخرى ، تغير وتقدم وتؤخر، ونحن نسلمها زمام الأمر وكأننا في غيبوبة لا ندري حجم المصيبة التي تتربص بنا، لأنّ تلك العقلية المدبرة لكل هذا تدرك أنّ العلم الشرعي هو الذي بدل مجرى التاريخ وأخرج من قلب الصحراء خير أمة قادت مركب الحضارة والرقى بعدما كانت أقواماً متناحرة يأكل القوي فيها الضعيف فأُمسّت الرائدة في كافة المجالات.

فلا عجب إذن أن يستهدف التعليم الشرعي لتعود الأمة كما كانت من قبل وجوده أحزاباً وشيعاً متفرقة متناحرة، فوضعت العراقيل بطريقه وحروب رواده ووجهت إليه التهم بعدم ملاءمته لشؤون العصر وعدم مناسبته للحدثة التي تسير الأمة في منظومتها اليوم، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها وسبل ومواجهتها.

المبحث الأول: التحديات التي تواجه طلاب العلم الشرعي

المطلب الأول سياسة التربية والتعليم

الإنسان في مقتبل عمره يقضي جل وقته في المدرسة متأثراً بما يحيط به من مشرفين ومدرسين، فالمنهاج والمدرس لهما من القدسية ما يجعل التلميذ يقتنع بما يطرحانه عليه أكثر_ في بعض الأحيان_ من أفراد أسرته، وما يتلقاه في المدرسة من قيم ونظرة للأمور عادة يشب عليها ويشيب فهي إلى حد ما مسؤولة عن توجهاته وتطلعاته المستقبلية وعن كيفية النظرة التي يقيس بها الأمور وينظر إليها من خلالها، فالمدرسة هي التي تغرس وتبذر البذور في قلوب وعقول روادها وما بعد ذلك إنما هو سقاء لهذا الزرع.

وتتمثل مسؤولية وزارة التربية والتعليم في عدة أمور:

أولاً: تحديات تتعلق بالجهات المسؤولة:

المشكلات التي تواجه طلاب العلم الشرعي إنما تتعلق بداية بضعف التعليم في المراحل الأساسية ويمتد هذا الضعف طول سنوات الدراسة حتى يطال التعليم الجامعي، ويرجع هذا الضعف إلى منظومة التعليم في ظل السلطات المسؤولة، حيث يخضع التعليم الديني ومناهجه للتوجيه الرسمي ولا يكاد يخلو من التسييس والتدخل في وضع مباحث المقررات إضافة إلى أنه يأخذ مكانة دون مكانة المقررات الأخرى كما أنه لا يحظى بالتخطيط والدعم المادي اللازم فيقل الاهتمام به مدرسياً وجامعياً⁽¹⁾.

إضافة إلى درج مادة التربية الإسلامية من ضمن المباحث التي يستطيع الطالب حذفها في الثانوية العامة، فتكون هذه الجهات هي المسؤولة عن النظرة التي ينظر بها الطالب ومنذ نعومة أظفاره بأن دراسة التربية الإسلامية هي دون التخصصات الأخرى في الأهمية فشتان بين المهندس والدكتور وأستاذ الشريعة⁽²⁾.

ثانياً: تحديات تتعلق بالمدرس:

معلوم لدينا مدى ارتباط التلميذ بأستاذه وثقته به وتلقيه عنه، فبقدر ارتباط التلميذ بأستاذه يكون ارتباطه بالمادة العلمية التي يدرسها هذه الأستاذ، فكم سمعنا عن طلاب كان السبب في نفورهم من دراسة تخصص ما إنما هو نفوره بداية من أستاذ تلك المادة في مراحل دراسته الأولى وأيضاً يصح العكس، ونجد أن ذكريات الطالب حول مقرر التربية الإسلامية ومدرسها هي الأسوأ من بين المقررات الأخرى.

كما أن مدرس مواد التربية الإسلامية لا بد أن تتوفر فيه الكفاءة العلمية في تخصصه، إذ أن ضعف تأهيله العلمي وعدم مواكبته لوسائل التقنية الحديثة وعدم استخدامها في تدريسه وإتباعه أسلوب التلقين والحفظ وبناء الحواجز بينه وبين الطلاب، فيتحول تعليمه من رسالة وأمانة إلى مجرد وظيفة ينتظر فراغه منها، كل هذا يجعل المدرس من أكبر التحديات والمعوقات التي تواجه التعليم الشرعي⁽³⁾.

كما أن في سياسة التربية والتعليم إمكانية إسناد تدريس مواد التربية الإسلامية لغير المتخصصين إذ لا يوجد في قوانينها ما يمنع من تكميل نصاب مدرس التاريخ أو اللغة العربية أو أي تخصص آخر من نصاب التربية الإسلامية

⁽¹⁾ (الصمدي، خالد. حللي، عبد الرحمن: أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ط1، ص132، دار

الفكر_دمشق، (1428هـ_2007م).

⁽²⁾ (أنظر حول الموضوع www.alwatan.com)

⁽³⁾ (أنظر حول الموضوع الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص140.

من جهة ومن جهة أخرى بحجة أنه بمقدور أي شخص أن يدرس هذه المادة وهذه خطأ فادح؛ لأنه قد يسند تدريس التربية الإسلامية لأستاذ قد يحمل أفكاراً أو ينتهج سلوكاً مناقضاً لما يقوم بتدريسه لطلاب هذه المواد، كما من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أن كل شخص أعلم بتخصصه وبدقائقه فحتى مدرس اللغة العربية مهما بلغت مهارته في تخصصه إلا أن هناك من الأمور ما تغيب عنه وتحتاج إلى تخصص في المادة، وهذه المشكلة من المشكلات التي تناولها الدكتور وجيه المرسى قائلا: "إن معلم التربية الإسلامية هو نفسه معلم اللغة العربية. قد لا تتوافر فيه الجوانب الفنية. هذا فضلاً عن الجوانب الأخرى. التي تمكنه من القيام بعمله على أكمل وجه. فبعض المعلمين. مثلاً. لا يستطيع قراءة آية من القرآن، وإن قرأها فلا يقرأها بالطريقة السليمة، وإن قرأ الحديث صحيحاً فربما وقف عند المعنى الظاهر فقط، ولا يستطيع توجيه ما فيه من أحكام شرعية وغيرها(4).

وفي حالة توفر مدرس متخصص بالعلوم الشرعية فإنه لا يراعى اختياره وفق معايير خاصة بالتخصص الذي يدرسه إذ أن بعض المدرسين يفتقدون الكفاءة العلمية والشخصية التي تراعى في تخصصات غير تخصصات العلوم الشرعية، فما زال مدرس مادة التربية الإسلامية يعاني قلة الاهتمام في سياسة التربية والتعليم والذي توليه لغيره من المدرسين، فكثير ما تعقد مديريات التربية والتعليم دورات من شأنها الرقي بالمدرسين وتزويدهم دائماً بالإعداد الكامل الذي يحتاجه المدرس، وأكبر دليل على ذلك فقدان آلية التعاون بين وزارة الأوقاف ووزارة التربية والتعليم لعقد دورات تؤهل مدرسي التربية الإسلامية ولا سيما فيما يتعلق بمقرر التلاوة والتجويد، لذا لا عجب أن تجد المدرس للمناهج نفسه لا يتقن المادة العلمية التي يقوم بتدريسها.

ثالثاً: تحديات تتعلق بالمناهج والمحتوى العلمي:

تقع على التربية والتعليم مسؤولية كبيرة عما تقدمه من مناهج وما يحتويه هذا المنهاج فعليها أن تعد مناهج توافق تطورات المجتمع وحاجات أفراده لا أن تقرر مناهج قائمة فقط على الحفظ متجاهلة المعنى الذي يجب أن يغرس في نفوس الطلاب، إذ أن من أهم المشكلات التي تواجه التعليم الشرعي وتدرسه هي المناهج والمواد التعليمية التي تهتم بالكم لا بالكيف وعدم ربط النصوص مع الواقع وعدم ملاستها لتطورات ومشكلات العصر، فكثيراً ما تدرس ويركز على المسائل القديمة والتي لا علاقة لها بالواقع وتُغفل الكثير من مستجدات العصر(5).

ويكثر الحشو في المواد وتصبح النصوص ثقيلة مملة لطالب العلم لأنها تركز على حفظ المعلومات دون الانتباه للغاية والهدف الأسمى لهذه المواد، فبمجرد الانتهاء من المادة تتبخر المعلومات ولا تترجم في سلوكيات الطالب فتجد الفرق والتناقض الشاسع بين ما يحفظ من نصوص ومعلومات وبين حاله وسلوكياته؛ لأن المناهج الدينية لا تحقق الأهداف المرجوة منها ولأنها لا تلامس واقع التلاميذ وتفاصيل حياتهم اليومية.

وهذا ما ذكره الدكتور في مقال له حول المشكلات التي تواجه تدريس التربية الإسلامية إذ يقول متطرقاً لبعض هذه المشاكل: "إن العملية التعليمية تعامل التربية الدينية كمادة دراسية، يتم فهمها واستيعابها بهدف النجاح في الامتحان. وهو أمر لا يتفق مع طبيعة التربية الدينية، بل إنها تتراجع في أهميتها المدرسية إذا ما تعارضت مع اللغة العربية بفروعها المختلفة وسائر المواد الأخرى، إن كتب التربية الإسلامية ينبغي أن تتضمن بعض القضايا، والموضوعات

(4) من مقال مشكلات تواجه تدريس التربية الإسلامية، الدكتور وجيه المرسى. kenanaonline.com.

(5) انظر حول الموضوع الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 140.

المعاصرة والملحة التي تواجه الشباب في حياتهم. وتعرض هذه القضايا والموضوعات عرضاً علمياً ومعها رأى المتخصص فيها، حتى لا يقع الشباب في بلبلة يلجأ بعدها إلى من يفتون في الدين بغير علم⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: معدلات القبول المتدنية في كليات الشريعة

لم تتوقف النظرة الدونية وتهميش مواد التربية الإسلامية على المدرسة فحسب، إنما هذه سياسة ممنهجة وضعت الخطوات الأولى على دربها وزارة التربية والتعليم مبتدئة من المدارس لتستمر هذه السياسة حتى التعليم الجامعي وما بعده، وتتمثل هذه السياسة المتبعة في الجامعات في معدلات القبول المتدنية لكليات الشريعة وكأنَّ هذه الكليات حكر على ذوي القدرات العقلية والعلمية المحدودة والمتدنية، فمعدلات القبول في كليات الهندسة والطب والصيدلة وغيرها تبلغ أعلى المعدلات في حين معدلات القبول في الكليات الشرعية تبلغ أدنى مستوياتها إذ يقبل عادة على دراسة هذه العلوم من لم يحالفه الحظ في الثانوية العامة أو لم يحصل على معدل يؤهله لدخول الكليات العلمية أو بسبب عجز مادي حال بينه وبين اللحاق بهذه الكليات ذات التكلفة المادية المرتفعة، فحفاظاً على نظرة المجتمع له ولحرصه المستميت أن يكون من أصحاب الشهادات يدخل هذه الكليات الشريعة اضطراراً ليس حباً ولا اقتناعاً.

والذي وضع هذه السياسة إنما يغرس في ثقافة المجتمع تقديم العلوم المادية التي تُعنى بعمران البلدان وصحة الأبدان على تلك العلوم التي تسعى بداية لإعداد الإنسان الصالح الذي يقوم بعد ذلك بعمارة الأرض على أفضل وجه وأكمل حال تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق لقوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [سورة البقرة: آية 30] والإنسان إذا نشأ على هذا المفهوم من الاهتمام بالشكليات والماديات إنما يسير بكلتا رجليه نحو الهاوية وهو ما نراه اليوم ملحوظاً من تدهور المجتمعات والذي هو نتيجة لتقدمها المادي منفصلاً عن تقدمها الروحي والفكري.

فبناء الإنسان والاهتمام بطاقاته الوجدانية والروحية يفوق الاهتمام بالعمران والصحة الجسدية لأن الأخيرة هي نتاج صحة الإنسان فكرياً وروحياً، فاعتلال الفكر والروح عند الإنسان إنما هو مرض عضال آثاره السلبية تنتشر في المجتمع انتشار النار بالهشيم ف يأكل معه كل تقدم عمراني، إذ يفرز لنا جيلاً لا انتماء له لا لوطن ولا حتى لدين ، يترنح بالسقوط إثر السقوط.

ثم على أصحاب الشأن أن لا يغفلوا النفسية التي تنشأ عند الطلبة الذين يدخلون هذه الكليات إذ يبقى الطالب مضطرب الشخصية ضعيف الثقة بالنفس مقارنة بأقرانه الذين انتسبوا لكليات ذات معدلات قبول مرتفعة، فيتركز اهتمامه على التحصيل والدرجات العلمية دون العناية بتطبيق ما يتعلمه في سلوكه وأخلاقه فيخرج لنا جيل يصف لنا واقعه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) [سورة الصف: آية 2] فيغيب عن وعي طالب العلم الشرعي الهدف الذي يكمن وراء هذه العلوم وهو إعداد الفرد الصالح إعداداً صحيحاً سليماً معافى في دينه وقلبه وفكره وجسده ليحقق الغاية التي من أجلها خلق (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [سورة آل عمران: آية 110] تمهيداً لإخراج خير أمة أخرجت للناس، ومن لم يضع نصب عينه هذه الغاية من العلوم الشرعية إنما يعكس الصورة السلبية عن التعليم الشرعي فيغيب أثر وأثار طلاب العلم الشرعي عن واقع الحياة لأنهم بداية أغفلوا الغاية والهدف من العلوم الشرعية، وقد جاء تحت عنوان الضعف العلمي والثقافي لطلاب الكليات الشرعية: "الهزيمة النفسية والنظرة السلبية للعلوم الشرعية عند

⁽⁶⁾ من مقال مشكلات تواجه تدريس التربية الإسلامية، الدكتور وجيه المرسى. kenanaonline.com

البعض، فلا يدخل كلية الشريعة مثلاً إلا إذا تأخّرت به درجته عن اللّحاق بركب الأطباء والمهندسين والاقتصاديين والإداريين، فيلتحق بالكلية الشرعية ليكمل بها نقصاً وليتجاوزَ هذه المرحلة" (7).

المطلب الثالث: ضعف اللغة العربية عند طلاب الشريعة

نزل القرآن الكريم باللغة العربية فكان بذلك أكبر هدية قدمت للعرب قاطبة وهي حفظ اللغة العربية من الضياع، واللغة العربية أساسية لفهم الشرع الحنيف، ولا بد لكل إنسان يدخل في هذا الدين العظيم أن يكون عنده إلمام يؤهله لقراءة الخطاب الرباني المتمثل في القرآن الكريم، وبالرغم من أهمية اللغة العربية وارتباطها الوثيق بالشريعة الإسلامية إلا أننا نجد قلة مواد الساعات المعتمدة للغة العربية في كليات الشريعة الإسلامية، إذ نجد أن بعض الكليات تعتمد على مواد التربية وأساليب التربية والزيادة في الساعات المعتمدة لهذه المواد على حساب مواد اللغة العربية بل أحياناً على حساب مواد التربية الإسلامية نفسها والتي هي أهم لطلاب الشريعة أكثر من غيرها مع عدم تقليل الاعتبار للمواد الأخرى.

كما انصرف اهتمام الناس إلى اللغات الأجنبية فأصبح هناك تنافس وتباهٍ بين الأفراد على تعلم لغات جديدة وكل ذلك على حساب اللغة الأم، كما أنّ تضمين التربية والتعليم حصصها المدرسية لغات أخرى لا سيما في المراحل الأساسية يؤدي إلى صرف اهتمام الطلبة عن اللغة العربية بحجة أنها اللغة الأم ومن السهل تعلمها، فيؤدي هذا إلى منافسة هذه اللغات للقدرات العقلية والذهنية والاستعداد عند الطلاب ناهيك عن نصاب الحصص والذي يؤدي بدوره إلى تقليل حصص المواد الأخرى ومنها اللغة العربية والتربية الإسلامية.

وضعف اللغة العربية عند أهل الضاد إنما هو مرض عضال لم يقتصر على طلاب العلم الشرعي بل امتد ليشمل طلاب اللغة العربية نفسها، إذ يقول صاحب مقال صيحة من أجل اللغة العربية: "لم يعد خافياً على أحد ذلك التدني الذي وصل إليه خريجو أقسام اللغة العربية في جامعاتنا خلال العقود الأخيرة، وهؤلاء الخريجون هم الذين يتولون تعليم أولادنا في المدارس، وهم أيضاً الذين يسمعوننا الكلمة العربية من خلال الإذاعة والتلفزيون، ولو ترك الأمر على ما هو عليه الآن فالله وحده هو الذي يعلم أبعاد الكارثة التي ستطبق على هذه الأمة" (8).

فالكارثة لن تقف عند هذا الحد والفتنة لن تتوقف عند عجز طلاب اللغة عن قراءة الكتب اللغوية والنصوص النحوية القديمة، بل ستعظم المصيبة لينال العجز تلاوة آيات الذكر الحكيم، ويتابع صاحب المقال توصيف المصيبة قائلاً: "فقد استعجم كلام ربنا عز وجل على ألسنة معلمي المدارس، وصاروا يتلون على تلاميذهم محرّفاً ومزلاً عن جهته، ثم أصبحت تسمعه من بعض المذيعين والمذيعات كذلك مغلوّطاً ملحوناً. وهذه هي المصيبة التي تتضاءل دونها كل مصيبة، وهذا هو الخطر الماحق الذي يجب أن نقف جميعاً أمامه ندرأه وندفعه، فإن القضية بهذه المثابة قد صارت ديناً يُغتال وشريعة تنتهك" (9).

نعم، إنّ ضعف اللغة العربية اليوم إنما من أسبابه سياسة التعليم في المدارس والجامعات القائمة على هجر الكتب القديمة، واختزال المادة العلمية في تلخيصها من قبل المدرسين في مذكرات يقومون بإعدادها دون الرجوع إلى

(7) almoslim.net. أنظر ايضاً مقال المنهجية في التعليم الشرعي: library.islamweb.net. وانظر الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص142.

(8) مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، ط1، ج1 ص136، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، (1422هـ-2002م)؟

(9) مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص137.

النصوص الأصلية من أمهات الكتب في البلاغة والنحو بحجة صعوبة هذه النصوص تارة والتخفيف عن الطلاب تارة أخرى⁽¹⁰⁾.

ولا أدري أيهما أولى أن يقف الطالب عند لغته فلا ينتقل لغيرها حتى يتمكن من أصولها، أم أن الحداثة باتت تفرض علينا إقصاء لغتنا والجهل بقواعدها والانصراف عنها بتعلم لغات أقوام كانوا يوماً ما تلاميذ على موائدنا العلمية يستتيرون في عصور ظلامهم بنور علومنا، فتركنا الماء الطهور من بين أيدينا لننتيم بحفنة تراب من إثرهم. فعلى مؤسسات التربية والتعليم من مدارس ومعاهد وجامعات وسائر الجهات والسلطات المعنية أن تحرص دائماً على تعزيز اللغة العربية وترسيخها في عقول ووجدان هذه الأجيال الناشئة، وأن تبين لهم أهمية اللغة العربية إذ هي قوام الشخصية العربية والإسلامية؛ فهي الحافظة لتراثنا العقائدي والفكري والتاريخي والثقافي، ومن دونها تطمس ملامح حضارتنا وتتدثر معالم ثقافتنا⁽¹¹⁾.

وإن أي اهتمام باللغات الأخرى على حساب لغتنا العربية بدعوى أنها لا تناسب العلوم اليوم إنما هي دعاوي مسمومة تعمل جاهدة للنيل من لغتنا وطمس تاريخنا وحضارتنا، فعلى المؤسسات والسلطات أن تتكاتف في جهودها وتعيد صياغة المناهج وتكثيف الساعات وإعداد البرامج التي تعمل على تعزيز اللغة العربية وتقديرها على أي لغة كانت والعمل على نشرها وتصديرها وذلك من خلال إظهارها في المحافل والمؤتمرات المحلية والدولية⁽¹²⁾.

المطلب الرابع: سياسة التوظيف وتهميش طلاب الشريعة

التوظيف وتهميش طلاب الشريعة من أهم العثرات التي تواجه كليات الشريعة بل هي من الأسباب القاهرة التي تجعل أي طالب يفكر ملياً قبل إقدامه على الالتحاق بهذه الكليات بل إن عدم توظيف الخريجين من هذه الكليات يتمثل وكأنه وحش كاسر لن تخطئ أنيابه كل ملتحق بهذه الكليات فتجد بعض الطلاب حتى قبل الثانوية يبعد عن ذهنه مجرد التفكير بالانتساب لهذه الكليات وما ذلك إلا بسبب الأمثلة الكثيرة الموجودة أمام ناظرهم، وما هذا إلا لسياسة التربية والتعليم المتبعة سواء كانت في عدد الحصص المدرسية أو في إسناد حصص التربية الإسلامية لمدرسي المواد الأخرى أو حتى في سياسة التقاعد إذ تجد المدرس يجلس على كرسي التدريس حتى يبلغ الستين من عمره أو ثلاثين سنة في الخدمة وهذا يجعل الوظيفة حكراً على الأجيال القديمة في حين أن الأجيال الشابة وحديثي التخرج تصبح الشوارع والبطالة هي المستقر النهائي لهم.

وتضائل فرص العمل أمام خريجي معاهد وكليات العلم الشرعي وتأثير ذلك على الإقبال على هذه المواد نوعاً وكماً هو من أهم المشكلات التي تناولها مقال المنهجية في التعليم الشرعي، فتساهم هذه المشكلة في صرف كثير من المتفوقين المتميزين عن هذا النوع من الدراسات والالتحاق بالتخصصات الأكثر ارتباطاً بسوق العمل⁽¹³⁾.

¹⁰ () مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص 138. بتصرف.

¹¹ () الزنتاني، عبد الحميد الصيد: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ط 1، ص 560، الدار العربية للكتاب. بتصرف.

¹² () الزنتاني، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص 560. بتصرف.

¹³ () انظر library.islamweb.net. الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 132.

المبحث الثاني: سبل العلاج

المطلب الأول: دور الأسرة في التركيز على الجانب العقائدي

تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية في تكوين الفرد وتنشئته وتنشئة سليمة، فالأسرة هي الحاضنة الأولى للفرد وهي المسؤولة بداية عن المفاهيم والقيم التي ترسخ في فكره ووجدانه وهي الراعية والداعمة لمهارته ومعتقداته، كما أنّ لها دور لا يخفى على أحد في ترسيخ مفاهيم التربية الإسلامية وأهميتها لحياة الفرد والجماعة في نفسه، بل لها دور أساسي في توجيه ميوله التربوية والتعليمية ونظراته المستقبلية لهذه الميول منذ نعومة أظفاره، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لأهمية الأسرة في حياة الفرد ومعتقداته إذ يقول عليه السلام: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"⁽¹⁴⁾.

من هنا كان على الأسرة ضرورة توجيه أبنائها إلى أهمية التعليم الشرعي والمكانة الرفيعة التي يمتاز بها أصحابه عند الله سبحانه وتعالى أولاً ومن ثم أهميته إذ هو أشرف العلوم وأجلها فعليه صلاح الفرد والمجتمع إذ أنّ التعليم الشرعي يبصر الإنسان بحقيقة حاله ومآله والغاية من حياته، فإن كان الطبيب مسؤولاً عن صحة الأبدان فالتعليم الشرعي مسؤول عن صحة أفكار الإنسان ومعتقداته.

ولا يقتصر دور الأسرة على مرحلة الطفولة فحتى عند انتقال الطالب إلى مرحلة الدراسة وتقاسم المدرسة لهذه المسؤولية مع الأسرة، فعلى الأسرة أن تحيطه بمزيد من الرعاية والاهتمام وتناقشه بما يدخل من مفاهيم وقيم على أفكاره ومعتقداته وبالتالي سلوكياته إذ تبقى هي الحارس الأمين لفكره ووجدانه ومعتقداته.

المطلب الثاني: دور المدارس والجامعات

أولاً: دور المدارس

تتحمل المدارس مسؤولية حل المشكلات التي تواجه كليات وطلبة التعليم الشرعي، وعليها أن تضع في قائمة أولوياتها مواجهة هذه التحديات والتعاون مع مؤسسات الدولة المختلفة والجهات ذات الاختصاص للنهوض بالتعليم الشرعي ومعالجة الضعف والجمود الذي يمر به التعليم الذي يسبق التعليم الجامعي لأن أي تأخير عن مواجهة هذه المشاكل والتحديات يجعل خطرهما يتفاقم، وقد تبين فيما سبق أن المشكلات تشمل عدة محاور ابتداءً من عدد الحصص وطبيعة المنهاج وكفاءة المدرسين، لذا على وزارة التربية والتعليم أن تعيد النظر في عدد الحصص المدرسية⁽¹⁵⁾، وإسناد تدريس مواد التربية الإسلامية لأصحاب الاختصاص ممن تتوفر فيهم الكفاءات العلمية والشخصية التي تؤهلهم لأداء رسالتهم بعيداً عن مجرد الأداء الوظيفي والشكلي الذي يفنّد إلى تأدية الرسالة المرجوة من هذه المؤسسات، وضرورة الحرص على انتقاء المحتوى بعيداً عن عملية التسييس ويكون ذلك من خلال فريق عمل تسند إليه مهمات وضع محتوى يتناسب وقضايا الأمة وتلامس واقع الطالب المعاصر.

وعلى التربية والتعليم أن تضع معايير جديدة في اختيار المدرسين والتي لا يجب أن تقتصر على المعدلات التي يحصل عليها الطالب وإنما تشمل هذه المعايير السلوكيات والأخلاقيات التي يجب أن تتوافر في مدرس التربية الإسلامية، فتتوافق حاله وأفكاره وسلوكياته مع ما يقوم بتدريسه للطلاب لأنه القدوة لهم والنبراس، فيكون قول المدرس

⁽¹⁴⁾ (مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري 206_261هـ: صحيح مسلم، ص675، كتاب القدر،

باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم2658، مكتبة الثقافة الدينية،(1422هـ_2001م).

⁽¹⁵⁾ (انظر حول الموضوع الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص169_171.

مطابقاً لسلوكياته ؛ لأن أي منهج تربوي يحتاج أن يكون المدرس مؤمناً به مطبقاً له والتربية الإسلامية أولى المناهج بذلك(16) انطلاقاً من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)[سورة الصف: الآيات 2_3].

ثانياً: دور الجامعات

ولا يقل أهمية دور الجامعات في مواجهة المشكلات ومعالجتها ، وذلك برفع معدلات القبول لكليات التعليم الشرعي حتى يتم اختيار هذه الكليات عن رغبة وقناعة من المتعلمين لا لمجرد حصولهم على شهادة جامعية بسبب فشلهم بالالتحاق بكليات أخرى ، كما أنّ التعليم الشرعي يحتاج إلى النجباء وأصحاب القدرات العالية بعكس ما هو شائع بين الناس، كما على الجامعات والمعاهد الشرعية مراجعة خططها التعليمية بإضافة مقررات جديدة أو الاستغناء عن مقررات أخرى ترتفع بمستوى الطالب وتتدارك مواطن الضعف ولا سيما ضعف اللغة العربية ، والعمل على تغيير أساليب وأنماط المدرسين القائمة على تلقين المعلومات وحفظها.

المطلب الثالث: دور وسائل الإعلام

لقد غزت وسائل الإعلام اليوم بمختلف أشكالها وألوانها بيوتنا، بل أصبح العالم قرية صغيرة ترقبه من مكانك بكبسة زر، وللإعلام من الأهمية ما لا يخفى على ذي لب، فعلى مؤسسات التعليم الشرعي أن تستفيد من الإعلام لتبليغ رسالتها وتحقيق أهدافها، فالغرب يسخر الإعلام لغزو عقولنا وأفكارنا وبلادنا، فعلى القائمين على مؤسسات التعليم الشرعي استغلال هذه التقنية ، فتنوع في عرض رسالتها عن طريق المقالة الصادقة والرواية الهادفة ، ولا ضير من أن يكون لكليات التعليم الشرعي قنوات إعلامية تبلغ رسالتها وتتابع المستجدات العصرية والمؤتمرات والندوات المنعقدة وتبثها حتى لا تبقى أسيرة الحرم الجامعي.

كما عليها أن تُعنى بفئة الشباب بإعداد البرامج وعقد الدورات والقيام بالرحلات والمخيمات الصيفية التعليمية منها والترفيهية فتدخل عامل التشويق على دراسة هذه المواد فيقبل عليها الطالب بجد واجتهاد دون ملل وسأم(17).

المطلب الرابع: دور المساجد والمراكز التابعة لوزارة الأوقاف

إنّ أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة هو بناء المسجد، والمسجد على مدى قرون طويلة لم يقتصر على أنه دار عبادة تؤدي به الصلوات فحسب، بل كانت له رسالة أوسع من ذلك فقد كانت تعقد به حلقات العلم وإليه يُعزى تخريج العلماء، لقد كانت المساجد منارات للعلم يؤمها طلاب العلم من أنحاء المعمورة ، فالمسجد الحرام في المدينة والمسجد الحرام في مكة وجامع دمشق وجامع عمرو بالقاهرة وجامع المنصور في بغداد والجامع الأزهر أمثلة على واقع المساجد والرسالة التي كانت تؤديها(18).

¹⁶ () انظر مذكور، علي أحمد: منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ط2، ص243_244، مكتبة الفلاح_الكويت،(1422هـ_2002م).

¹⁷ () انظر صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، ج2ص405_409، دار الجبل_بيروت،(1413هـ_1993م).

¹⁸ () صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، ج1ص274_277، دار الجبل_بيروت،(1413هـ_1993م). العناني، حنان عبد الحميد: صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط1، ص153_155، دار الصفاء_عمان،(1420هـ_1999م). بتصرف

من أجل النهوض والرقى بالعملية التربوية والتعليمية لا بد من تكاتف الجهود والتعاون فيما بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف للاستفادة من المساجد والمراكز التابعة لوزارة الأوقاف وعقد دورات و ورشات عمل خاصة بمناهج التربية الإسلامية وتشمل هذه الدورات الطلاب والمدرسين على حد سواء لرفع مستوى الطالب وتأهيل وإعداد المدرس إعداداً يتناسب وتخصصه، لا سيما في وجود هذه المساجد والمراكز التابعة في معظم البلاد مما يسهل عملية الوصول إليها والالتحاق بما تقدمه من دورات بأوقات تناسب الشخص المعني.

المطلب الخامس: مسؤولية الدولة في المنح الجامعية وتوفير فرص العمل

والدولة لا تقل مسؤوليتها عن غيرها مما سبق بل تتحمل أيضاً العبء الأكبر في رفع مستوى مدرسي التعليم الشرعي، والنهوض بهم من المنزلة الوضيعة التي حولتهم إلى مجرد أدوات، والرقى بهم ليؤدوا رسالتهم على أكمل وجه فيصبحوا عناصر فعالة فيقوموا بواجبهم وتأدية رسالتهم في إعداد الجيل والمواطنين الصالحين⁽¹⁹⁾.

كما على الدولة أن تسعى لتوفير المنح الجامعية لطلاب العلم الشرعي، إذ يؤدي ذلك إلى تشجيع النجباء من الطلاب لا سيما من أولئك الذين تعيقهم الأمور المادية عن استكمال دراستهم ، فمثلاً تشجع الدولة وتدعم بعض التخصصات والبرامج فلا ضرر أن تنظر بعين العطف والرحمة لكليات وطلبة العلم الشرعي، كما عليها أن تسعى جاهدة لتوفير فرص عمل تليق بخريج العلم الشرعي تمكنه من أداء دوره وواجبه تجاه دولته وأمتة وذلك من خلال تغيير سنوات الخدمة مثلاً أو تخفيض السن العمري الذي يجب أن يبلغه الموظف حتى يتقاعد إجبارياً ، وهذا كله لا يتم إلا بتدخل جاد من الدولة.

كما على الدولة أن تبقي التعليم الشرعي مستقلاً بمؤسساته ومناهجه ورجالاته ، فلا تقوم بتعيين الموظفين في سلك التعليم الشرعي بناءً على انتماءات واتجاهات سياسية معينة، مع ضرورة التشديد على عدم تحول هذه المؤسسات إلى مؤسسات مناوئة تعيش في حلبة صراع مع الدولة، كلا بل المطلوب أن تبقى مؤسسات التعليم الشرعي مستقلة تؤدي دورها بكل أمانة وإخلاص تجاه أمتها.

¹⁹ () الكيلاني، ماجد عرسان: مناهج التربية الإسلامية والمرتبون العاملون فيها، ص424، مؤسسة الريان_بيروت، لبنان، (1419هـ_1998م). بتصرف.

الخاتمة

من خلال الصفحات السابقة والتي ألقى الضوء على جزء من التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلاب العلم الشرعي، ندرك أنّ ثمة أمر يدبر لهذه الأمة بالخفاء مستهدفاً عقيدة الأمة وفكرها وذلك من خلال تشتيت طاقات الشباب والعبث بأفكارهم وإخراج جيل سطحي التفكير يحيا بلا هدف ولا غاية، جيل إمعة تتلقفه الحضارة الغربية وتعبث به كما الريشة في مهب الريح، ولا يتسنى لها ذلك إلا من خلال العبث بالمناهج التعليمية وتفرغ العلوم الشرعية من أهدافها ومقاصدها.

وبناء على ذلك على الجهات المعنية أن تنتظر للأمر بجدية وتعيد دراسة المناهج والعمل على النهوض بمستواها وإعطاء العلوم الشرعية دورها الأساسي، وأن يدرك أصحاب السلطة والمسؤولية أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فإن كانت الحضارة اليوم لا تسير من غير مهندسين يهندسون العمران وأطباء يحاربون الوباء فإن الأمة لن يستقيم لها حال وأفكار ومعتقدات أجيالها معتلة هزيلة، ولن يعالج هذا الهزال والاعتلال إلا بإعادة الكليات الشرعية وطلاب العلم الشرعي لدورهم الريادي في الإصلاح والتغيير.

وبناءً على ذلك تخلص الباحثة إلى بعض التوصيات:

1. قيام التربية والتعليم بزيادة المقررات الخاصة بالتربية الإسلامية.
2. الاهتمام بمضمون المحتوى وتناول القضايا التي تلامس الواقع.
3. رفع معدلات القبول في كليات الشريعة.
4. التعاون والتنسيق الجاد بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف.
5. استقلالية كليات الشريعة عن الحزبية والتسييس.

المراجع

1. الزنتاني، عبد الحميد الصيد: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ط1، ص560، الدار العربية للكتاب. بتصرف.
2. الزنتاني، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص560. بتصرف.
3. صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، ج1، دار الجيل_بيروت، (1413هـ_1993م).
العناني، حنان عبد الحميد: صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط1، دار الصفاء_عمان، (1420هـ_1999م).
بتصرف
4. الصمدي، خالد. حللي، عبد الرحمن: أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ط1، دار الفكر_دمشق، (1428هـ_2007م).
5. الكيلاني، ماجد عرسان: مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، مؤسسة الريان_بيروت، لبنان، (1419هـ_1998م).
6. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، مكتبة الثقافة الدينية، (1422هـ_2001م).
7. مذكور، علي أحمد: منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ط2، مكتبة الفلاح_الكويت، (1422هـ_2002م).
8. مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، ط1، ج1، دار البشائر الإسلامية، بيروت_لبنان، (1422هـ_2002م)؟

الانترنت

almoslim.net

المنهجية في التعليم الشرعي: library.islamweb.net .

www.alwatan.com

مشكلات تواجه تدريس التربية الإسلامية، الدكتور وجيه المرسى. kenanaonline.com